عمومية الرسالة الإسلامية

رسالة النبى الخاتم محمد ﷺ عامة ودائمة. فقد جعلها سبحانه وتعالى منزلة للعالمين لتوجههم إلى الخير والرشاد. وإذا كانت البشرية قبل بعث الرسول ﷺ تعيش فى أمية وفى ضلالة وفى ظلام الجهل، فقد أنزل الله القرآن الكريم عن طريق الرسول الخاتم ﷺ ليشرح كيف يعيش الإنسان فى الأرض وكيف يعود إلى السماء وسنة خاتم الرسل محمد ﷺ.

وقد أقام الله سبحانه وتعالى رسالة نبيه على المعرفة أولاً ـ لأن هذه المعرفة تؤدى إلى حب الله، وما دامت قد تولدت محبة الله لمن كان سببًا فى حب الله وهو حب الرسول الخاتم ﷺ، فالإنسان بهذه الصلة الروحية والحب القلبى يرتبط بالرسول ﷺ، وهذا الرباط بين من يتبعون الرسول على هدى الله، فالرسالة تركزت على التبصرة بطريق الحق ووسيلته والتبصرة بطريق الضلال وآثاره. وهذا هو سر بقاء رسالة محمد خاتم الأنبياء وسر عمومها وخلودها إلى يوم الدين وسر تمسك المؤمنين بها وبسنة الرسول الكريم ﷺ للارتباط الروحى المقدس بين نور الله فى قرآنه الكريم ونور النبى الخاتم فى سنته المطهرة والالتزام بها.

كمال خلق رسول الله ﷺ

إن مقام العبودية لله سبحانه وتعالى هو أشرف مقاماته، ورسول الله ﷺ هو أكمل الخلق جميعًا عبودية لله وأعظمهم شهودًا لفقره وحاجته إليه سبحانه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، وكان من دعائه ﷺ: "اللهم رحمتك أرجو لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك، وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت". كما كان يدعو:

"يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك"، وهو يعلم أن قلبه بيد الرحمن ﷻ وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء.

فضرورته إلى ربه بحسب معرفته به وحسب قربه منه ومنزلته عنده ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم عنده ولهذا كان الرسول أرفع الخلق منزلة وجاها عند الله لتكميله مقام العبودية بالفقر إلى ربه، فمقام الرسول ﷺ بكمال عبوديته لله سبحانه وتعالى وبكمال مغفرة الله له، فقد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكان الرسول ﷺ يستفتح في صلاة الليل: "اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت". وقالت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط". "وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما"، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضبًا وأسرعهم رضا.

عصمة الله لرسوله ﷺ

لقد عصم الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ من كل مكروه. حفظه من شياطين الإنس والجن، وقد تجلت هذه العصمة بما قيضه الله من ملائكة كرام أحاطوه بالرعاية الإلهية والحفظ حتى البعث للنبوة وحتى أتاه اليقين.

فعندما كان رسول الله ﷺ ينقل الحجارة حين بنيان الكعبة مع قومه، وكان رسول الله يحمل الحجارة على عاتقه فسقط مغشيًا عليه وقال غزارى إزارى وشد على إزاره فضمه عمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء أن اشدد عليك إزارك يا محمد، فلا ينبغي لرسول الله ﷺ أن تكشف عورته.